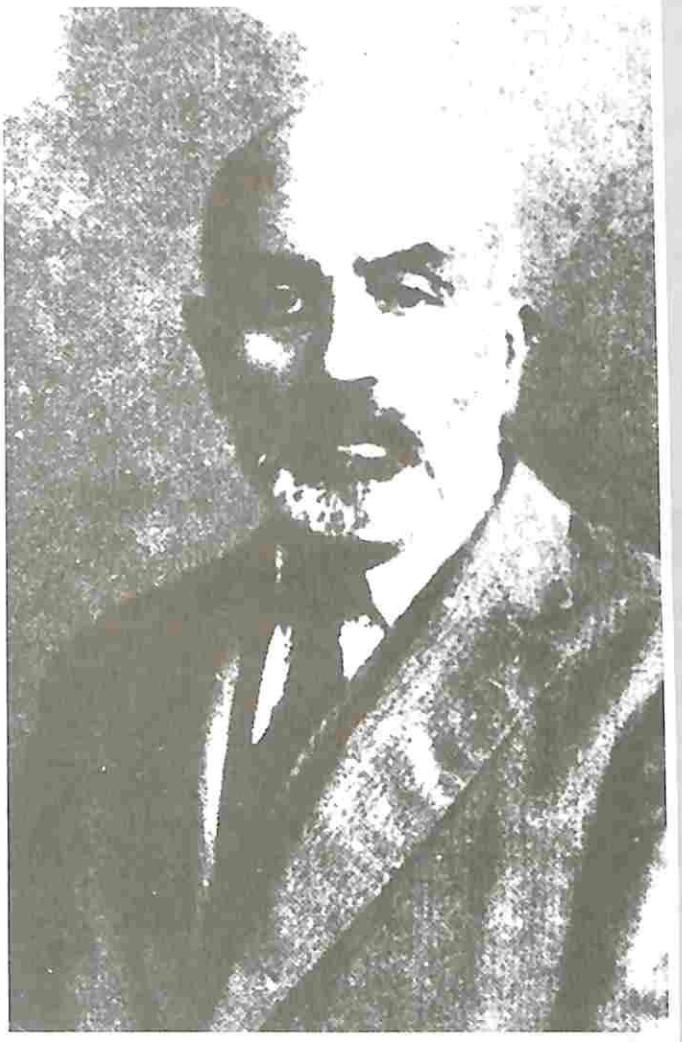

مجاهد..
حمل السلاح.. وناهض بالكلمة..

محمد عاكف أرصُ

■■ من الأدباء فريق يولد في مجتمعه كما تولد النجوم من السماء، فتكون كلماته نوراً يهدي الحائر، وينير الطريق للسائر، وشهباً للحق مرصودة، تسرع إلى الباطل فتمحقه فإذا هو إلى انكسار وذلة وصغار.

هؤلاء «الأدباء النجوم» يعرفون للأدب رسالة سامية، فهو لسان صدق للفضيلة والحق والخير، وسنان حق على الرذيلة والباطل والشر.. وهم يعيشون من أجل هذه الرسالة زاهدين في دنيا الناس راغبين إلى رب الناس. وقد تراودهم الدنيا ـ بزخرفها وزينتها ـ عن أنفسهم ـ فيصيحون في وجهها: معاذ الله هذه رسالتنا لانرضى بها بدلاً ولانبغي عنها حولا.

ودونك غيرنا ممن يتمسحون بأعتابك لاعقين لترابك، الواحد منهم حُوّل قُلّب حيثما تتقلبين يتقلب فهو يلهث وراء جاه يتمناه أو مال يتشهاه أو ماخور يغشاه، وكل يعمل على شاكلته، فهم طلابك وأنت طلبتهم. ومن هؤلاء النجوم واحد طلع في أفق الأدب التركي أو قل في أفق الأدب الإسلامي بمعنى أوسع، فجاءت كلماته نوراً من النور، تعبيراً عن ضمير المسلم اليقظ، وضمائر المسلمين من حوله الذين يعتزون بإسلامهم ويتمسكون به، وإن داهمهم الباطل بخيله وخيلائه، وطاغوته وكبريائه.

ذلكم هو الأديب التركي الكبير المسلم قلباً وعقلاً ولساناً ووجداناً، صاحب النشيد الوطني التركي محمد عاكف أرصوي فهيا بنا نتعرف على معالم من حياته(١) قبل أن نقرأ له فريدة من فرائده العصماء.

■■ مولده ونشأته:

ولد ـ يرحمه الله ـ في شوال عام ١٢٩٠ من الهجرة النبوية الموافق عام ١٨٧٣ من الميلاد في حي السلطان محمد الفاتح بمدينة إستانبول عاصمة الخلافة العثمانية لأبوين مسلمين، فأبوه هو محمد طاهر أفندي، الذي كان من المدرسين بجامع الفاتح الذي يعتبر مقر المؤسسات التعليمية في عهد الخلافة العثمانية وكان لقبه «تميز» أي نظيف نظراً لنظافته في ملبسه ومأكله ومشربه وجميع أحواله. وأمه هي أمينة شريفة هانم كانت من عائلة متدينة قدمت من بخارى إلى توقاد ثم إستانبول وسكنت في حي الفاتح.

■■ تعليمه:

بدأ تعليمه في مدرسة الأمير البخاري قرب جامع الفاتح، وهو ابن أربع سنوات، فدرس بها عامين، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية قرب دار التوقيت لجامع الفاتح ودرس بها ثلاث سنوات وكان أبوه يعلمه مبادئ اللغة العربية أيضاً.

ثم انتقل إلى المدرسة «الرُّشدية المركزية» في الفاتح أيضاً ومن الأساتذة الذين أثروا فيه تأثيراً كبيراً الأستاذ قدري أفندي، لغزارة علمه وثقافته العالية في اللغة العربية والفارسية والفرنسية.

وفي نفس الوقت لم ينقطع عن متابعة دروس أبيه في اللغة العربية بحيث ارتقى مستواه فوق مستوى أقرانه في جميع مراحل تعليمه وخاصة في اللغات الأربع: التركية والعربية والفارسية والفرنسية. وأحب الأدب وخاصة الشعر منه، وقرأ ديوان «ليلى ومجنون» للشاعر فضولي الذي عاش في عهد السلطان سليمان القانوني «١٥٢٠ ـ ١٥٦٦»، ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة الملكية ومنها إلى مدرسة البيطرة حيث تخرج فيها وكان ترتيبه الأول على زملائه.

■■ الوظائف التي تولاها في وطنه:

عين عقب تخرجه موظفاً لدى وزارة الزراعة بقسم الشئون البيطرية وقد أتاحت له تلك الوظيفة زيارة عدد كبير من المناطق في الأناضول في بلاد البلقان والجزيرة العربية، واختلط بأهل تلك البلاد وتعرف عليهم وعايشهم وقد بدأت حياته الوظيفية في عام ١٨٩٣م وانتهت عام ١٩١٣م وكانت آخر وظيفة تولاها هي نيابة الشئون البيطرية، وكان في تلك السنوات يلقي دروساً في الأدب في دار الفنون «جامعة إستانبول» وكلية الزراعة في حلقة لي في إستانبول، ثم استقال من وظيفته في دار الفنون ووزارة الزراعة وبقي على دروسه بكلية الزراعة ولم تتوقف زياراته لأجزاء الدولة العثمانية بعد أن ترك وزارته، فزار مصر قبيل الحرب العالمية الأولى، وزار الحجاز وعاد إلى إستانبول.

وبعد عودته بشهور بدأت الحرب العالمية الأولى فذهب خلالها إلى برلين ثم إلى نجد بالجزيرة العربية، ومر بالمدينة المنورة، وقد ذكرهما في أشعاره «مذكرات برلين»، و«من صحراء نجد إلى المدينة»، وذهب إلى بيروت في السنة الأخيرة من الحرب مع صديقه الأستاذ إسماعيل حقي بك، ثم زار مكة المكرمة ونزل ضيفاً على أميرها آنذاك علي حيدر باشا.

وفي هذه الفترة أنشأت المشيخة الإسلامية بإستانبول داراً أطلقت عليها «دار الحكمة الإسلامية» وتم تعيينه سكرتيراً لها.

■■ جهاده أثناء الحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال الوطني:

بعد أن تم توقيع الهدنة بين الدولة

بقلم دكتور:
غريب جمعة

العثمانية والدول الغربية عام ١٩١٨م دخلت جيوش الدول الغربية إلى الجزء الباقي من أرض الخلافة الإسلامية في الأناضول فاحتلت روسيا الولايات الشرقية، وبلغاريا واليونان الولايات الغربية، وإيطاليا جزءاً من الولايات الجنوبية، وفرنسا وبريطانيا بقية الولايات الجنوبية والجنوبية الشرقية، واحتلت الجيوش المتحالفة قلب الخلافة وعاصمتها إسطنبول!!

وهكذا مزقت دولة الخلافة شر ممزق وكانت تعتبر من الدول الكبرى بل أكبرها على الإطلاق.

وإزاء هذه النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لم يقف الشعب التركي المسلم مكتوف الأيدي، بل سارع إلى تشكيل ميليشيات «قوات» للدفاع عن الوطن في أنحاء مختلفة، وهنا انتظم الأديب الكبير محمد عاكف في سلك تلك القوات تاركاً إسطنبول إلى مدينة «باليكيثر» في غرب البلاد، وألقى خطباً عديدة، لإثارة حماسة الوطنيين وشحذ هممهم للوقوف في وجه الأعداء ومقاومتهم.

وتعددت الانتفاضات وتزايدت قوات المقاومة حتى عم الجهاد المسلح جميع البلاد التركية، وكانت نقطة الانطلاق للحركة الوطنية هي مدينة «أنقرة» فانتقل إليها وانضم إلى المجاهدين هناك.

ويواصل جهاده من أجل الدين والوطن فيزور مدناً كثيرة، ويلقي محاضرات متعددة وخطباً بليغة مثل خطبته في مدينة «قسطموني» التي كان لها صدى كبيراً في نفوس الشعب، حيث بين فيها أن الأعداء يريدون إذلال الشعب التركي المسلم والاستيلاء على جميع البلاد، فلا يليق بهم أن يقبلوا مثل هذا الذل والهوان والحقارة والاحتلال، وقد طبعت هذه الخطبة ووزعت على الشعب وعلى الجنود المسلمين.

■■ النشيد الوطني التركي:

عاد محمد عاكف من مدينة «قسطموني» إلى أنقرة وتم انتخابه نائباً عن مدينة «بُرْدُورْ» في المجلس الوطني التركي عام ١٩٢٠م، وشارك في جميع أعماله، وفازت قصيدته في المسابقة المعلنة، واختيرت نشيداً وطنياً لتركيا باتفاق جميع الأعضاء، وتم منحه خمسمائة ليرة ذهبية مكافأة له، وهو مبلغ ليس بالقليل ولكن أبت نفسه الكريمة أن تلتفت إليها وتنازل عنها للجيش الذي يجاهد الأعداء، وهكذا يكون الأدباء أصحاب الرسالات، ولله در القائل:

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

ولم تضعف ثقته في أن النصر سيكون حليف المسلمين حتى في أصعب أيام حرب الاستقلال، وحين اقتربت القوات اليونانية من أنقرة مقر المقاومة آنذاك بدأت الهجرة إلى المناطق الداخلية، ولكنه لم يهاجر مع المهاجرين، وبقي في أنقرة، بل إنه كتب بعض أشعاره في تلك الظروف الصعبة وهي: «بلبل» و«جواب نظيف».

■■ هجرته إلى مصر:

انتهت دورة البرلمان التركي الأول، وتقدم الأستاذ محمد عاكف ومن يشاركونه إيمانه وفكره لدخول البرلمان التركي الثاني عام ١٩٢٣م، فحيل بينهم وبين ذلك حيث سيطرت فلول التغريب والعداء للإسلام على مجريات الأمور داخل الدولة.

وتجرع الأستاذ عاكف ومن على شاكلته الحسرة تلو الحسرة على ما آل إليه حال وطنهم، وكان قد تلقى دعوة في ذلك الوقت من الخديو عباس حلمي الثاني خديو مصر، فلبى هذه الدعوة وهاجر إلى مصر وهو

ارتقى مستواه فوق أقرانه في جميع مراحل التعليم.. وخاصة في اللغات الأربع: التركية والعربية والفارسية والفرنسية.

كسير القلب يشكو بثه وحزنه إلى الله.

وقضى الشتاء في مصر ثم عاد إلى إسطنبول في الصيف وهكذا عاش حياته الجديدة حيث كانت رحلة الشتاء إلى مصر ورحلة الصيف إلى إسطنبول.

وفي هذه الفترة كلفته الحكومة الجديدة برئاسة مصطفى كمال بترجمة معاني القرآن الكريم إلى التركية وعكف على هذا العمل سبع سنين دأباً في مدينة حلوان من أرباض القاهرة، ولكنه حينما علم أن الحكومة قد أضمرت شراً فهي تنوي إحلال هذه الترجمة محل النص القرآني الكريم، حينما علم بذلك لم يُظهر ترجمته، وطلب إعفاءه من هذه المهمة واستقال منها حتى لايبوء بإثمها لأنها تصطدم بعقيدته الإسلامية.

وهكذا يكون المسلم الحق، لايدفع دينه ثمناً لدنياه فهو يتشبث به حتى يأتيه اليقين لأن الدين في نظره يعلو ولايُعلى عليه ويحكم ولايُحكم عليه.

وفي عام ١٩٢٦م اختارته جامعة فؤاد الأول «القاهرة الآن» لتدريس مادة الأدب التركي في كلية الآداب فقام بعمله خير قيام، وبعد بضع سنين بدأت رحلته المرضية، فسافر إلى لبنان للاستجمام ومنها إلى أنطاكية عام ١٩٣٦م، ولكن حالته الصحية لم تتحسن حيث اشتدت عليه وطأة المرض وألم البعد عن وطنه ووهن عظمه ورق جسمه، فعاد إلى إسطنبول وأُدخل المستشفى للعلاج، ولكن آن للنجم أن يغيب من الأفق - وإن بقيت أشعة نوره - فاستأثرت به رحمة الله في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٣٦م، ووسد جثمانه الثرى في مقبرة الشهداء في منطقة أدرنَهْ قابو بمدينة إستانبول.

■■ أعماله وآثاره:

أصدر مجموعة من الكتب تتضمن الشعر الذي شدا به وهي:

١- صفحات وهو اسم كتابه الأول.

٢- على منبر السليمانية.

٣- أصوات الحق.

٤- على منبر الفاتح.

٥- مذكرات.

٦- عاصم.

٧- ظلال.

وقد نُشرت هذه الكتب باللغة العثمانية التركية التي كانت تكتب بالحروف العربية.

٨- تم تلحين بعض أشعاره مثل: النشيد الوطني التركي - بلبل - دعاء الجيش - الشهيد المجهول «شهداء جناق قلعة».

٩- له مائة مقالة فكرية نشرت في مجلتي «الصراط المستقيم» و«سبيل الرشاد» اللتين أصدرهما مع صديقه الأديب الأستاذ أشرف أديب.

١٠- له زهاء خمسون ترجمة بين طويلة وقصيرة ومواعظ عشر.

١١- ترجم مجموعة من الكتب إلى اللغة التركية مثل:

أ- «المرأة المسلمة» للعلامة محمد فريد وجدي، وكان رداً على كتاب قاسم أمين «المرأة الجديدة».

ب - الدفاع عن الإسلام أمام هانوتو للشيخ محمد عبده.

جـ - الجواب على الكنيسة الأنجليكانية للشيخ عبدالعزيز جاويش.

د- كتاب «أضرار المسكرات على البشرية» وكتاب «العودة إلى الإسلام» وهما لسعيد حليم باشا الوزير العثماني.

١٢- أعد مشروعات مؤلفات أخرى ولم يتسع وقته لإنجازها مثل:

حجة الوداع - عاصم الثاني - صلاح الدين الأيوبي.

عكف سبع سنوات على ترجمة معاني القرآن إلى التركية بتكليف من حكومته برئاسة أتاتورك.. ولكنه أخفاها عندما علم بسوء نية الحكومة

وهو يرحمه الله فيما يكتب، وفي شعره خاصة داعية للإسلام فالشعر عنده وسيلة من أجل غاية شريفة ولاغاية أشرف من الإسلام والدعوة إليه وهو يدعو إلى الوحدة الإسلامية وهي في نظرة دليل الإخلاص للعالم الإسلامي لذلك طالب ببقاء الخلافة، ونبذ دعاوي العصبية للقوميات وبعثها من مواتها، لأن في ذلك موات للوحدة الإسلامية.

وهو يعادي أسلوب التغريب، وسلخ الشعب المسلم من دينه، لذلك جاء شعره مثقلاً بهموم أمته ومانزل بها من كوارث ومحن، وماكان بمعتزل عنها بل اصطلى بنارها، وليت كتابه «صفحات» يجد من يكرم نفسه ويكرم القراء فيترجمه إلى لغات متعددة، والذي نحب أن نلفت النظر إليه في نهاية هذه المعالم من حياة ذلك النجم الذي غاب رسمه وماغاب نوره.. أن العظمة التي حباه الله بها إنما هي قبس من عظمة الإسلام الذي رضيه ديناً فتمسك به، ودافع عنه ودعا إليه.

وإليك أخي القارئ بعض فريدته العصماء التي تقدمت الإشارة إليها والتي عثرنا عليها بشق الأنفس فقد مضى على نشرها أكثر من نصف قرن!! ولكن الله كتب لها البقاء.

---

(١) أتوجه بالشكر والعرفان إلى الإخوة الأتراك الأفاضل الذين ساعدوني في الحصول على معالم من حياة هذا الرجل أثناء انعقاد مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول في أغسطس عام ١٩٩٦م وهم:

١ـ الأستاذ حمدي أرسلان الذي نقل بعض المعلومات عن الأستاذ عمر طغرل صهر الأستاذ عاكف.

٢ـ الأديب الكبير الأستاذ علي نار.

٣ـ الدكتور عثمان أوزتورك.

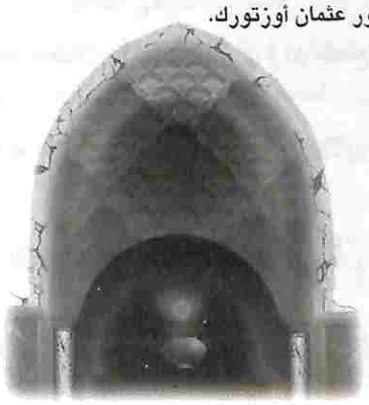

من قصيدته: ذكـ

■■ التي عربها نثراً الأستاذ: علي يعقوب ونظمها شعراً الأستاذ: الصاوي شعلان

تأمل سفوح البيد(١) أو قمم الصخر
دم الشهداء الخالدين بها يجري
لقد ركعوا صرعى(٢) فلولا ركوعهم
لما سجد العبّاد لله في الدهر
جباه كإشراق الصباح نقية
قضت وشعاع المجد من ضوئها يسري(٣)
فكم غربت هذي الشموس لتفتدي
هلالك يارباه في ساعة النصر
فيا من ثوى في موطن العز راضياً
ليدفع عن أوطانه غائل(٤) الأسر
خليق بأن يسعى الجدود ويهبطوا
إليك وقد قلدتهم شارة الفخر
ليهدوا أكاليل(٥) الفخار ويلثموا(٦)
جبينك في تاج الكرامة والطهر
إلى راية التوحيد أقبلت منقذاً
تحررها يوم الوغى(٧) بالدم الحر
سما في العلا أبطال بدر إلى الذي
سموت إليه من جلال ومن قدر
فمن ذا الذي يبني لك القبر في الثرى
وحاشاك قدراً أن توسد في قبر

...رى الشـــــهيد

فلو أصبح التاريخ مثواك لم يسع
مزاياك والآيات منها بلا حصر
عزائمك اللاتي بعثت لهيبها
سراجا يضيء الكون عصراً إلى عصر
أجل وأسمى من صحائفه ولو
رسمنا بها آثار فضلك بالتبر[٨]
ألا في خلود المجد مثواك[٩] وحده
مقامك فوق الهام منه وفي الصدر
لَوَ اني بركن البيت جئت مشيداً
ضريحك والأحجار من ساحة الحجر
وبالقبة الزرقاء أطوي نجومها
عليك رداء ناصعاً بدل الستر
وجئت إلى مثواك أنسج فوقه
سحائب نسيان ندية بالعطر
وجئت بأستار المساء لفائفاً
لجرح سما قدر اليواقيت في النحر
لما كنت قد أديت حقك في العلا
من المجد والتخليد والحمد والذكر
فأنت الذي لما قضيت إلى الوغى
تصون حمى الإسلام من غارة الكفر
بهرت[١٠] صلاح الدين من عزمك الذي
رأى أرسلان منه معجزة السحر
وأنت الذي لما طغى الكفر واعتدى
على راية الإسلام بالبغي والجور
حطمت الدروع السابغات[١١] ولم يزل
على صدرك الوثاب درع من الصبر
أرى اسمك يعلو مثل روحك ناشراً
على الملأ الأعلى شذى[١٢] ليس في الزهر
لَوَ ان عصور الدهر تحويك ساعة
لأوقدت في أجيالها ثورة الحشر
فما تسمع الآفاق والأرض كلها
مقامك في سهل رحيب ولاوعر
شهيد العلا وابن الشهيد تحية
ولاتلتمس في أرضنا موضع القبر
مكانك عند المصطفى في رحابه
وكوثره الصافي على رفرف خضر

---

(١) البيد: هي الفلوات مفردها فلاة.
(٢) صرعى: من صرع صرْعاً وصُرْعا طرحه على الأرض.
(٣) يسري: يسير ليلاً.
(٤) غائل: الداهية، الهلكة، الشر والفساد.
(٥) أكاليل: تيجان.
(٦) يلثموا: يقبلوا من لثم الوجه والفم قبَّله
(٧) الوغى: الحرب
(٨) التبر: ماكان من الذهب غير مضروب.
(٩) مثواك : منزلك.
(١٠) بهرت: بهر الرجل فلانا إذا غلبه وفضله.
(١١) سابغات: واسعة كاملة لتقي صاحبها.
(١٢) شذى: قوة ذكاء الرائحة.

■■■